كتاب الترغيب الى اطاعة الملوك عرب ٩

Mikrofilm Arşivi
No. 1096

T. C.
İSTANBUL
Fatih Kütüphanesi
SAYI

Süleymaniye Ü[illegible]phanesi
[illegible] | Fatih
Yeni [illegible]
Eski kayıt: [illegible] | 3482

١

كتاب بعض ما جا في فضل الملوك والسلاطين

برسم خزانه المقام
الشريف ملك البرين والبحرين
مولانا السلطان المالك الملك
الاشرف ابى النصر قانصوه
الغوري خلد الله ملكه

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله

وقف سلطاننا الاعظم السلطان ابن السلطان السلطان الغازي محمود خان ادام الله عمره [illegible]

٢٤٨٧

K.3584

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب فيه بعض ما جا في فضل الملوك
والسلاطين كتب ذلك برسم الخزانة الشريفة
لمولانا السلطان المالك الملك الاشرف
ابو النصر قانصوه الغوري عز نصره

الذي له بشاشة الوجه في كل احواله
ولم يكن عبوسا وحلاوة الكلام في
كل احواله تكي درا نفيا وهو
الصابر في كل احواله مع كظم الغيظ

ولم يكن عجولا والمتواضع الذي لم يكن
جبارا ولا محتجبا عن الناس في حكمه
ومؤيدا للعلم واهله ولم يكن جافيا
لهم والموقر للشايب إكراما
للشيب مع المحسن لمن اساء إليه
ولم يلتفت لما فعله في حقه وهو
الذي ألف قلوب جيوشه بالحلم من
غير سفك الدما والمسوي بين الصديق
والبغيض ولم يكن مستعرضا مع احد

والمصلح للبلاد من الفساد بسطوته
غربا وشرقا وحرميها ● ولم يوجد راكب
جواد ● ولا حامل سلاح ● إلا من كان
خايفا على نفسه من سطوته ● حتى
الهند ● ثم السند ● مع اليمن ●
ولم يبلغه في ذلك أحد من الملوك
أبناء جنسه سواه ● وذلك من
علامة الثبوت ● لقواعد دولته
الشريفة خدمة المملوك بردبك

السيفي يشبك من مهدي من المقدم
مع ما سيأتي من العبودية ● ترغيبا
إلى طاعة الملوك ● وترهيبا
عن مخالفة السلوك ● والله
الهادي للصواب بمنه وكرمه
وصلى الله على أشرف الخلق سيدنا محمد
● وآله وصحبه وسلم ●
وحسبنا الله ونعم الوكيل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل الملوك والسلاطين
خلفاء وظلالا فى أرضه رحمة منه حتى
يأوى إليهم كل مظلوم من عباده
ولولاهم لفسدت الأرض وما عليها
وأمر طاعتهم واجب علينا ليصلح
بذلك شأن كل مكظوم وأشهد أن
لا إله إلا الله وحده لا شريك له
الحى القيوم وأشهد أن محمدا عبده

ورسوله المبعوث إلى كل إنسى وجنى معلوم
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم إلى
اليوم المحتوم وبعد فيقول
العبد الفقير الحقير إلى الله بردبك
المشار إليه لإخوانه ولأحبائه فى
الله أن طاعة الملوك فرض علينا
عينا والخروج عن طاعتهم حرام
علينا جزما لقوله تعالى يا أيها
الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول

وأولي الأمر منكم فقد قرن الله
طاعتهم بطاعته وطاعة رسوله
فيجب علينا طاعتهم وتحرم علينا
مخالفتهم وأن نحسدهم بما أعطاهم
الله تعالى لأن الحسود لا يسود
ولأن المعطي والمانع هو الله تعالى
بقوله قل اللهم مالك الملك تؤتي
الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء
وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير

إنك على كل شيء قدير ولأن متاع
الدنيا قليل وما أوتوا من ذلك
القليل إلا قليلا ولم يؤتوا ما أوتي
سليمان عليه السلام فإذا علمت
هذا فلا نتيجة في الحسد وسميته
لأجل هذا الترغيب إلى طاعة الملوك
والترهيب عن مخالفة السلوك ومن
رأى فيه غير صواب فليسدده ويصلحه
ويقبل عذري فإني رجل تركي على

كل حال فاعذر فيه وفوق كل ذي
علم عليم جل من لا عيب فيه وعلا
وقد قال الله تعالى وهو الذي
جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم
فوق بعض درجات الآية وقد
جاءنى ذلك أحاديث وآثار كثيرة
وسأذكر منها شيئاً إن شاء الله
تعالى وينبغي لنا أن نتمنى من الله
توليتهم علينا لأنه نعمة من الله

على الخلق وزوالهم عنا نقمة ولا
يتمنى ذلك إلا جاهل مغرور أو
فاسق يتمنى كل محذور وسيأتي
تمام ذلك عن قريب إن شاء الله تعالى
ولقوله تعالى ولولا دفع الله الناس
بعضهم ببعض لفسدت الأرض أي
لولا أن الله تعالى أقام السلطان
في الأرض يدفع القوي عن الضعيف
وينصف المظلوم من الظالم لأهلك

القوي الضعيف ۞ وتواثب الخلق
بعضهم على بعض فلا ينتظم لهم حال
ولا يستقر لهم قرار ۞ فتفسد
الأرض ومن عليها فقال تعالى
ولكن الله ذو فضل على العالمين ۞
أي في إقامة السلطان ۞ فيأمن الناس
به ۞ فيكون فضله على الظالم كف
يده ۞ وفضله على المظلوم أمانه
وكف يد الظالم عنه ۞ روى

أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال
انصر أخاك ظالما أو مظلوما ۞ قالوا
يا رسول الله هذا أنصره مظلوما
فكيف أنصره ظالما قال تأخذ فوق
يديه وروى أبو هريرة رضي الله
عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ثلاثة لا ترد دعوتهم ۞ ذكر
أولهم إمام عادل وفي حديث آخر
عنه عليه السلام أنه قال سبعة

يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله
ذكراً أولهم إمام عادل وعن
أبي أمامة رضي الله عنه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة لا
يستخف بهم إلا منافق ذو الشيبة
في الإسلام وذو العلم وإمام
مقسط رواه الطبراني في الكبير
من طريق عبيد الله وروى كثير
ابن مرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم

السلطان ظل الله في الأرض يأوي إليه
كل مظلوم من عباده الحديث وروى
أبو هريرة يرفعه قال لعمل الإمام العادل
في رعيته يوماً أفضل من عبادة العابد
في أهله مائة سنة أو خمسين سنة
وقال قيس بن سعد ليوم من إمام
عادل خير من عبادة رجل في بيته
ستين سنة وفي حديث آخر أنه قال
والذي نفس محمد بيده إنه ليرفع للسلطان

العادل إلى السماء من العمل مثل عمل جملة الرعية
وكل صلاة يصليها تعدل بتسعين ألف
صلاة فيقول العبد الفقير إلى
الله تعالى المؤلف لهذا المختصر
المشار إليه فإذا علمت هذا فقد
أعلم أنه لا نعمة أجل ولا أعظم قدرا
من درجة السلطنة الذي يجعل
له ساعة من عمره بجميع عمر غيره
كما أشار به صاحب سراج الملوك

بقوله وليس فوق السلطان العادل
منزلة إلا نبي مرسل أو ملك مقرب
انتهى ثم يقول الفقير أيضا
ومن لم يعرف قدره ولم يعظم
شأنه فقد يأثم إثما عظيما
كما قال ابن عباس رضي الله عنهما
من خرج من السلطان شبرا مات
ميتة جاهلية وكذا وصى علي
رضي الله عنه ولده محمدا فقال له يا بني

من سلّ سيف البغي قتل به الأترى
إلى ما قال الشيخ الإمام الفاضل
المحقق المدقق رئيس أهل السنة
والجماعة سيف الحق أبو المعين النسفي
رحمه الله في عقائده الكبرى لما
توفي صلى الله عليه وسلم اجتمعت
الصحابة رضي الله عنهم في سقيفة
بني ساعدة وقالوا سمعنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول من مات

ولم ير على نفسه إماما مات ميتة
جاهلية فلا نحب أن تمضي علينا يوم
ولم نر على أنفسنا إماما وهو الخليفة
لأن كل من لا يرى الإمام حقا
فإنه يكفر لأن من الأحكام ما
يتعلق جوازه بالإمام نحو الجمعة
والعيدين ونكاح الأيتام وكل
من أنكر الإمام فقد أنكر الفرائض
ومن أنكر الفرائض فإنه يكفر انتهى

وقال صاحب سراج الملوك

رحمه الله فى اثناء كلامه وبالسلطان

صلاح الانسان إذ هو أعزّ أعلاق

الدنيا وأعمّها بركة ونصلح

بصلاحه الدنيا والآخرة فهو

حقيق أن يكون شرفه عند الله

عظيما كما كان قدره فى العقول

جسيما ومقامه عند الله كريما

كما كان نفعه فى عباده عميما

وعلى قدر عموم المنفعة تشرف

الأعمال وعلى قدر النعمة تكون

المنّة ثمّ قال وإنّ وجود

السلطان فى الأرض حكمة لله تعالى

عظيمة ونعمة على العباد جزيلة

لقد صدق رحمه الله لأنّ الرعيّة

ليس كلّهم على حبّ الإنصاف

ومثلهم بلا سلطان مثل الحوت فى البحر

يبتلع الكبير منه الصغير فمتى لم

يكن لهم سلطان قاهر لم ينتظم
لهم أمر ولم يستقم لهم معاش
ولهذا قال بعض القدماء لو رفع
السلطان من الأرض ما كان لله في أهل
الأرض من حاجة وفي سراج الملوك
إن منزلة السلطان من الرعية بمنزلة
الروح من الجسد **ومثال** السلطان
أيضا مثال النار ومثال الناس
مثال الحطب فما كان منها معتدلا

لم يحتج إلى النار وما كان منها معوجا
احتاج إلى النار لأنه إن فرط طغوا
وهلكوا وإن اعتدل اعتدلوا
كما قال النبي صلى الله عليه وسلم
إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن
معناه يدفع وكما قال علي بن أبي
طالب رضي الله عنه إمام عادل
خير من مطر وابل لقد صدق رضي
الله عنه لأن الرعية بالملك أعم

وأعظم انتفاعا بالغيث ۞ لأن للغيث
وقتا معلوما مرة في الأحيان كنيل
مصر ۞ أو مرات في الأحيان كسائر
الأراضي ولو دام ذلك كان
إهلاكا للخلق **وسياسة الملوك**
دوامه صباحا ومساء وما بينهما
من غير الموقت كالغداء والعشاء ۞
ولو وقت ذلك في الأحيان كان
إهلاكا للخلق ۞ فإذا كان كذلك

فلا يتمنى زوالهم إلا جاهل مغرور
أو فاسق يتمنى كل محذور ولما ذكرنا
جميعا **ولقول** أبي بكر الصديق رضي
الله عنه لما ولي الخلافة خطب
فقال يا أيها الناس إنه لا أحد
أقوى عندي من المظلوم حتى آخذ له
بحقه ۞ ولا أضعف من الظالم حتى
آخذ الحق منه **فإن قال قائل** إن الملوك
اليوم ليسوا كمن مضى من الملوك

فأقول في جوابه إن الرعية أيضا ليسوا
كمن مضى من الرعية لقوله صلى الله
عليه وسلم كما تكونوا يولى عليكم
أو يؤمر عليكم الحاكم ومن طريق
الديلمي من حديث يحيى بن هاشم حدثنا
يونس بن إسحاق عن أبيه أظنه عن ابن
بكرة مرفوعا بهذا ومن هذه الرواية
أخرجه البيهقي في التاسع والأربعين
وقال عبيدة السلماني لعلي بن أبي

طالب رضي الله عنه يا أمير المؤمنين
ما بال أبي بكر وعمر رضي الله عنهما
انطاع الناس لهما والدنيا عليهما
أضيق من شبر فاتسع عليهما ووليت
أنت وعثمان الخلافة فلم ينطاعوا
لكما ولا اتسعت فصارت عليكما
أضيق من شبر قال لأن رعية أبي بكر
وعمر كانوا مثلي ومثل عثمان ورعيتي
أنا اليوم مثلك وشبهك وفي رواية

أنه قال كما تكونوا يولى عليكم ۞ مع ما
ذكرنا وقال مالك بن دينار
وجدت في بعض الكتب يقول الله سبحانه
وتعالى إني أنا الله مالك الملوك
قلوب الملوك بيدي فمن أطاعني
جعلتهم عليه رحمة ۞ ومن عصاني
جعلتهم عليه نقمة ۞ فلا تشغلوا
أنفسكم بسب الملوك ۞ ولكن توبوا
إليّ أعطفهم عليكم وقال عبد

الملك بن مروان أنصفونا يا معشر
الرعية ۞ إن كنتم تريدون منا سيرة
أبي بكر وعمر ۞ فلا تسيروا فينا ولا
في أنفسكم سيرة نسأل الله أن يعين
كلا على كل وقال قتادة قالت
بنو إسرائيل إلهنا أنت في السماء
ونحن في الأرض فكيف نعرف
رضاك من غضبك ۞ فأوحى الله تعالى
إلى بعض أنبيائه إذا استعملت عليكم

خيارَكم فقد رضيتُ عنكم وإذا استعملتُ
عليكم شرارَكم فقد سخطتُ عليكم وقال
المقتدر بالله لوزيره علي ابن عيسى اتّقِ
الله يعطفني عليك ولا تعصه فيسلّطني
عليك وكذا قال المأمون لوزيره
إيّاك أن تعصي الله فيما تتقرّب به إليّ
فيسلّطني عليك

فصل في فضل كتمان السرّ سيّما الملوك

قال الله تعالى حكاية عن يعقوب

عليه السلام يا بُنيّ لا تقصص رؤياك
على إخوتك فيكيدوا لك كيدًا ولمّا
أفشى يوسف عليه السلام رؤياه بمشهد
امرأة يعقوب أخبرت إخوته فحلّ
به ما حلّ وفي الحديث استعينوا
على قضاء الحوائج بالكتمان فإنّ كلّ
ذي نعمة محسود ولأنّ كتمان السرّ
من الخصال المحمودة في جميع الخلق
ومن اللوازم في حقوق الملوك

ومن الفرايض الواجبة على الوزراء
وجلساء الملوك والأتباع أن لا يفشوا
سرهم لأن إفشاء سر الملوك صعب
شديد الملوك لا صديق لهم إذا
غضبوا إلا من كان حليما منهم
كما أن البحر لا جار له إذا طغى
فقد قال الشاعر
يموت الفتى من عثرة بلسانه وليس يموت
المرء من عثرة الرجل فعثرة الرجل

قد تبرى على مهل وعثرة النطق قد تفضي
إلى القتل وقال علي بن أبي
طالب رضي الله عنه سرك أسيرك
فإذا تكلمت به صرت أسيره وكان
لعثمان رضي الله عنه كاتب اسمه
حمران فتشكى عثمان فقال اكتب
العهد بعدي لعبد الرحمن بن عوف
فقال حمران لعبد الرحمن البشرى
فقال لك البشرى بماذا فأخبره

فانطلق عبد الرحمن فأخبر عثمان أي
اعتذر له فقال عثمان أعاهد الله
أن لا يساكنني حمران أبدا ونفاه
إلى البصرة فلم يزل بها حتى قتل
عثمان رضي الله عنه وبهذا المعنى
وردت أحاديث وآثار كثيرة أعرض
الفقير عن ذكرها لئلا يطول
الكتاب وإن كتمان الأسرار يدل
على جواهر الرجال وكما أنه لا خير

في آنية لا تمسك ما فيها كذلك لا خير
في لسان لا يمسك سره ومن أعجب
الأمور أن أغلاق الدنيا كلما
كثر خزانها كان أوثق لها إلا السر
فإنه كلما كثر خزانه كان أضيع له
وكم من إظهار سر أراق دم صاحبه
ولو كتمه أمن من سطواته وفي الأمثال
يقال صدور الأحرار قبور الأسرار
كما قال الشاعر

ومودع السر ممن ليس يكتمه ۞ كمودع
ماله في كم عريان ۞
وفاعل الخير مع من ليس يعرفه ۞ كواقد
شمعة في بيت عميان ۞
وطالب النصح من أعدائه طمعا ۞ كمدخل
يده في فم ثعبان ۞
وفي الحقيقة أن إفشاء سر غيرك أقبح
من إظهار سر نفسك ۞ لأنه يبوح بإحدى
وصمتين إحداهما الخيانة إن كان مؤتمنا

عليه ۞ كمن قيل له على سر اكتمه على
فأفشاه ولم يكتمه عليه ۞ فهو خيانة
منه أو النميمة إن كان متحيرا في كتمانه
أي إذا لم يؤكد عليه في كتمه ۞ وأفشاه
عليه فيكون نميمة وكلاهما حرام على
كل مسلم ۞ والله أعلم بالصواب

فصل في بعض ما قيل في الحلم
والرفق والعفو والسخاء والعدل

ينشرح بها الخاطر لمن نظر إلى آخرها

أوسمع وكان يقال أولى الناس بالسلطان
أولاهم بالرأفة والرحمة ولقد
صدق قائلها لأن السلطان إذا لم يكن
كذلك فيفرط في حكمه فيندم بعد
ذلك من غير فائدة كما روى عن عمر
بن عبد العزيز ما قرن شيء إلى شيء أفضل
من حلم إلى علم ومن عفو إلى قدرة
وشفع بن قيس في محبوس إلى
السلطان فقال له إن كان مذنبا وسعه

العفو وإن كان بريا وسعه العدل
وقيل لبعض الكبراء بلغ أمير المؤمنين
عنك خبر سوء فقال إذا لا أبالي
قيل له ولم لا تبالي قال إن كان
حقا وسعني عفوه وإن كان كذبا
وسعني عدله وقال المامون لما رأيت
الذنوب جلت عن المجازات بالعقاب
جعلت فيها العقاب عفوي أمضا
من الضرب للرقاب وروى عنه

أيضا أنه قال لو علم المذنبون لنا
تلذذنا بالعفو لتقربوا إلينا بالجرائم
ومثل هذا روي عن الإسكندر
وغيره من الكبراء ثم رجعنا إلى
ما كنا فيه ۞ وهو أنه إذا وقع
التفريط في الحكم من غير السلطان
فالسلطان يرجعه عنه كرها لكونه
ليس فوق يده يد كما روي في بعض
الأخبار أن ملكا من الملوك أمر بصنيع

طعام وأحضر له قوما من خاصته
فلما استقرت مجالسهم أمر خادما له
أن ينقل الطعام إلى مجلسهم فدخل
الخادم وعلى كفه صحن مرق فمر في
السماط فلما قرب من الملك أدركته
الهيبة ودهش فعثر وسقط من
مرق الطعام شيء على طرف ثوب
الملك فأمر بضرب عنقه فلما رأى
الخادم العزيمة على قتله عمد إلى الصحن

فصبّ جميع ما كان فيه على رأس الملك
فقال له ما هذا قال يا مولاى انّما
صنعت هذا شحًّا على عرضك وغيرةً
عليك لئلّا يقول النّاس اذا سمعوا
بذنبى الّذى قتلتنى به قتله فى ذنب
خفيف وأخطأ فيه العبد ولم يقصده
فتنسب إلى الظّلم والجور فصنعت
هذا الذّنب العظيم لتعذر فى
قتلى وترتفع عنك الملامة قال

فأطرق الملك طويلا ثمّ رفع رأسه وقال
يا قبيح الفعل يا حسن العذر قد وهبنا
عظيم ذنبك لحسن عذرك وأنت حرّ
لوجه الله تعالى اذهب حيث شئت
وروى انّه أمر له بصلة جزيلة وبهذا
جمع بين العفو والاحسان كما فى قوله
تعالى انّ الله يأمر بالعدل والاحسان
فلولا حلمه ما وصل لهذا الجمع فلو
قتل ذلك الخادم فى خلقته ثمّ ندم فى قتله

كان ذلك منه من غير فائدة فأما إذا
إذا وقع التفريط من غير السلطان فإن
السلطان يرجعه كرها فقد روى
صاحب أنيس الجليس وشفاء الصدور
رضى الله عنه لما مات ولد كسرى أنوشروان
العادل قعد عمر لتعزيته فقيل له
يا أمير المؤمنين كان كسرى من المشركين
وأنت إمام المسلمين والضدان
لا يجتمعان فلم قعدت لتعزيته قال

إني لست أقعد في التعزية له بل قعدت
لأجل أبيه لأني تعلمت شيئا في باب
العدل من أبيه فبقيت أذكر به وذلك
إني بعثت ثوبين من برود اليمن أحدهما
لابنه والثاني لأخيه فلم يعطيا لي الثمن
فجئت إلى باب أنوشروان لأشتكي منهما
وناديت وتكلمت بالعربية فلما سمع كلامي
سأل من الترجمان وقال ماذا يقول
قال الترجمان ولم يرد أن يكشف سر ابن

الملك وأجبه كيلا يعلم أنوشروان
ظلمهما وعيبهما خوفا منهما ● أيها
الملك يسأل بلسان العرب فأمر أن
يخرجوني من بين يديه فجئت اليوم الثاني
ففعلوا معي كذلك فجئت اليوم الثالث
ونا ديت بصوت عال وقلت اعطوني
حقي فقال أنوشروان ما ذا يقول فقال
الترجمان خوفا يمدحك أيها الملك
وكان بجنب الملك رجل غريب يعلم بلسان

العرب فترجم كلامي لنوشروان بالعجمية
وقال أيها الملك إن هذا الرجل يقول
إنه باع ثوبين من برود اليمن أحدهما
لابنك والثاني لأخيك فلم يعطياه ثمنهما
فجاء يشتكي إليك منهما فلما سمع ذلك
تأسف وغضب فنزل عن الكرسي وقعد
على التراب وقال ما ذا ينفع كوني اسمي
عادلا إذ جاءني الشكاية ثم قال للرجل
قل للأعرابي أن يريني خصميه فأخبرني

الرجل بذلك فأشرت إلى ابنه وأخيه ❁
فأمرهما بإيصال حقي فأخذت حقي ثم
أعطاني ثلاث مائة دينار لأجل الثلاثة
أيام التي لم يعدل فيها وتعذر إلي
وقال اجعلني في حل فقلت لا أجعلك
في حل حتى تخبرني لماذا نزلت عن الكرسي
وقعدت على الأرض قال لمعنيين أحدهما
تعزية على أن مظلوما رجع من بابي بلا حق
ولم يجد عدلا ❁ والمعنى الثاني كأني أقول

هذا التراب على رأس ملك مضى عليه ثلاثة
أيام ولم يقض حاجة مظلوم ❁ قال عمر
رضي الله عنه ثم إني رجعت إلى منزلي
فسمعت خبرا أن أنوشروان صلب ثلاثة
نفر فذهبت إلى باب الملك ورأيتهم
مصلوبين فسألت عنهم وقلت من هؤلاء
قالوا أحدهم ابن الملك والثاني أخو
الملك والثالث ترجمانه صلبهم لأجل
أنهم اشتروا من أعرابي بردين من برود

اليمن ولم يدفعوا إليه ثمنهما فأمر بصلبهم
ليكون عبرة للناس إلى هاهنا في أنيس
الجليس وشفاء الصدور المشار إليه
لكن المشهور عن أنوشروان أنه كان له
ناقوس في وسط بيته موصول بسلسلة
وطرف السلسلة في خارج طريق العامة
وعليها أمناؤه وحفظته فيأتي المظلوم
فيحرك تلك السلسلة فيسمع أنوشروان
صوت الناقوس فيأمر بإدخال المظلوم

فكل من حرك تلك السلسلة فتمسكه الحفظة
حتى يدخل عليه وينظر في أمره فيمكن أن
السلسلة أحدثه أنوشروان بسبب
هذه الحكاية من ذلك اليوم لأنه لو
كانت السلسلة موجودة ما كان عمر
يحتاج للتردد إلى باب الملك مرارا **ويفهم**
ذلك من كلامه أيضا فيما مر بقوله ماذا
ينفع كون اسمي عادلا إذ جاءني الشكاية
ويدل على هذا أيضا أن في زمانه

لم تكن فيها شكاية من شهرة عدل زمانه
وشدة سيفه أي سياسته فلا يبعد
أن احداثه الناقوس لأجل هذا في مثل
هذا لأن صلب ابنه وأخيه وترجمانه
ونزوله من الكرسي إلى التراب مع كفره
منقبة جليلة لأن التجبر والتكبر
إنما يقع من الكفار غالبا وعادة سيما
إذا كان ملكا وكافرا وقد حكى
في سراج الملوك حكاية الناقوس عن

بعض ملوك الصين أيضا ثم ذكر صاحب
الأنيس أن أنوشروان لم يمل في حكمه
إلى ابنه وأخيه مع أنه كان كافرا
فلا جرم أن الله تعالى لم يضيع عدله
ولم يدخله النار بل خلق بين الجنة
والنار موضعا ليكون فيه وهو الأعراف
يعني لقوله تعالى وعلى الأعراف رجال
يعرفون كلا بسيماهم هذا ليس كما أشار
به صاحب الأنيس وهذا غلط منه لأن

الْكُفَّارِ لَا اَجْرَا لَهُمْ فِى الْآخِرَةِ اِلَّا النَّارُ

لِاَنَّ كِسْرَى مَاتَ وَهُوَ كَافِرٌ بَعْدَ

رِسَالَةِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَعْدَ

بُلُوغِهَا اِلَيْهِ وَذَكَرَ الْقَاضِى عِيَاض

فِى الشِّفَا اَنَّهُ كَانَ قَاصِدُهُ فَيْرُوزُ عِنْدَهُ

عَلَيْهِ السَّلَامُ فَاَخْبَرَهُ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى

اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَوْتِ اُسْتَادِهِ كِسْرَى

يَوْمَ مَاتَ اَىْ قَبْلَ اَنْ يَجِيئَ خَبَرُهُ ثُمَّ

جَاءَ الْخَبَرُ بِصِحَّةِ مَا ذَكَرَ لَهُ رَسُولُ اللّٰهِ

صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاَسْلَمَ فَيْرُوزُ اَىْ

بِذَلِكَ الْمُعْجِزَةِ وَفِى سِرَاجِ الْمُلُوكِ بِحَدِيثٍ

آخَرَ اَنَّهُ مَاتَ كِسْرَى فِى زَمَانِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فَعُلِمَ اَنَّهُ لَا اَجْرَ لَهُ اِلَّا النَّارُ بِخِلَافِ

مَنْ آمَنَ بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتَ فَحِينَئِذٍ

لَهُ ثَوَابُ حُكْمِهِ فِيمَا عَدَلَ فِيهِ وَلَهُ الْجَنَّةُ

وَنَعِيمُهَا مِمَّا لَا يُحْصَى لِمَا مَرَّ كُلُّهُ وَلِقَوْلِهِ

تَعَالَى وَاَقْسِطُوا اِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ

وَلِهَذَا قَالَ مَسْرُوقٌ لِاَنْ اَقْضِى يَوْمًا

بالحق أحب إلى من أن أغزو سنة في سبيل الله
وروى عن كسرى أيضا أنه صنع له
طعاما في سماط له فلما فرغوا ورفعت
الآلات وقعت عينه على رجل من جماعته
قد أخذ جاما له قيمته كثيرة فسكت
عنه وجعل الخدام يرفعون الآلات
فلم يجدوا الجام فسمعهم كسرى يتكلمون
فقال ما لكم فقالوا فقدنا جاما من
الجامات فقال لا عليكم أخذه من لا يرده

ورآه من لا يفضحه ❁ فلما كان بعد أيام
دخل الرجل على كسرى عليه حلة جميلة
وحالة مستجدة فقال له كسرى هذا
من ذاك فقال له نعم ولم يقل له شيء
انتهى وإنما وقع له العفو لأن الحق
كان لكسرى وكذا اعتراف الرجل
ولم ينكره ولو أنكره فكذلك يستحق
له العفو ❁ ولا يلتفت إلى فعله لقوله
تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس

والله يحب المحسنين ولو أخذه بذلك
الذنب كان ظالما لأنه لا يتصور فيه الدعوى
بمجرد هذا بخلاف ما تقدم من صلب
ابنه وأخيه وغير ذلك لأن الحق كان
لغيره **ولما وفد** عقيل بن أبي طالب
على معاوية أمر له بمائة ألف درهم
فلما أراد الانصراف رأى في الطريق
جارية بأربعين ألف درهم فرجع إلى
معاوية فأخبره قال ما تصنع بها قال

تلد لي غلاما إن أغضبتني يضرب مفرقك
بالسيف فأمر له بها فابتاعها فولدت
له مسلم بن عقيل ثم قدم مسلم الشام
فابتاع منه معاوية ضيعة فبلغ الحسين
بن علي الخبر فكتب إلى معاوية إني لا أجيز
بيع مسلم فأرسل معاوية إلى مسلم فقال
هذا كتاب الحسين يأمر برد المال فقال
مسلم أما دون أن أضرب مفرقك
بالسيف فلا فضحك معاوية وقال والله

لَقَدْ تَهَدَّدَنِي أَبُوكَ بِذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَشْتَرِيَ
أُمَّكَ وَسَوَّغَهُ الْمَالَ قَالَ الْحُسَيْنُ
حِينَ بَلَغَهُ ذَلِكَ غَلَبَنَا مُعَاوِيَةُ حِلْماً وَجُوداً
وَقَالَ الْأَحْنَفُ لِابْنِهِ يَا بُنَيَّ إِذَا
أَرَدْتَ أَنْ تُوَاخِيَ رَجُلاً فَأَغْضِبْهُ فَإِنْ
أَنْصَفَكَ وَإِلَّا فَاحْذَرْهُ وَيُرْوَى أَنَّ
هِشَاماً غَضِبَ عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ
فَشَتَمَهُ فَوَبَّخَهُ الرَّجُلُ وَقَالَ أَمَا تَسْتَحْيِي
أَنْ تَشْتِمَنِي وَأَنْتَ خَلِيفَةُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ

فَاسْتَحْيَى هِشَامٌ وَقَالَ اقْتَصَّ فَقَالَ أَنَا إِذاً
سَفِيهٌ مِثْلُكَ قَالَ فَخُذْ عَنْ ذَلِكَ عِوَضاً
مِنَ الْمَالِ قَالَ مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ قَالَ فَهَبْهَا
لِلَّهِ قَالَ هِيَ لِلَّهِ ثُمَّ لَكَ فَنَكَسَ هِشَامٌ رَأْسَهُ
وَقَالَ وَاللَّهِ لَا أَعُودُ لِمِثْلِهَا أَبَداً وَيُرْوَى
أَنَّ رَجُلاً سَبَّ الْأَحْنَفَ وَهُوَ يُمَاشِيهِ فِي
الطَّرِيقِ فَلَمَّا قَرُبَ مِنَ الْمَنْزِلِ وَقَفَ
الْأَحْنَفُ فَقَالَ يَا هَذَا إِنْ كَانَ بَقِيَ
مَعَكَ شَيْءٌ فَقُلْهُ هَا هُنَا فَإِنِّي أَخَافُ

أن يسمعك فتيان الحي فيؤذوك ونحن لا
نحب الإنتصاف ومثل هذا حكي عن أبي
حنيفة في مناقبه مع رجل وكذا حكي
عن أبي ذر رضي الله عنه لما قال له
رجل أنت الذي نفاك معاوية من الشام
لو كان فيك خير اما نفاك ووصف
أعرابي رجلا فقال أحلم من فرخ طائر
وكان ابن عون اذا غضب على أحد
من أهله قال سبحان الله بارك الله فيك

وقال الأحنف بن قيس لقد تعلمت الحلم
من قيس بن عاصم المنقري إني لجالس
معه في فناء داره وهو يحدثنا إذ
جاءت جماعة يحملون قتيلا ومعهم رجل
مأسور فقيل له هذا أخوك قتله
ابنك هذا فوالله ما قطع حديثه ولا
شعر
حل حبوته حتى فرغ من منطقه ثم أنشأ يقول
أقول للنفس تأبيسا وتعزية ❁ إحدى يدي
أصابتني ولم ترد

كلاهما خلف من فقد صاحبه ۞ هذا أخي
حين أدعوه وذا ولدي ۞
ثم التفت إلى بعض أولاده وقال له
قم فأطلق عمك وواري أخاك ۞ وسق إلى
أمه مائة من الإبل فإنها غريبة وهو من
أنبل بيت قالته العرب وقال عمر بن
عبد العزيز رضي الله عنه ثلاث من
اجتمعن فيه فقد حمد من إذا غضب
لم يخرجه غضبه عن الحق ۞ وإذا رضي

لم يخرجه رضاه ۞ وإذا اقتدر عفى وكف
وروي عن الإمام الشافعي رضي الله عنه
أنه قال من استغضب فلم يغضب فهو
حمار ومن استرضي فلم يرض فهو جبار
وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يغضب
ولكنه ما كان يغضب لنفسه بل عند
انتهاك حرمة الله تعالى وسئل بعض
أصحاب الأحنف عنه أكان الأحنف
يغضب قال نعم لو لم يغضب ما بان حلمه

كان يغضبه من الأشياء فيتبين في وجهه
اليومين والثلاثة وهو يصبر ويحلم
ومن لم يغضب من الأشياء التي مثلها
يغضب فقد فقد من الفضائل الشجاعة
والحمية والدفاع والغيرة ونحو ذلك
كالأوامر والنواهي لأن هذه الخصال
مفتاح الغضب إن الله تعالى ما مدح
من لم يغضب إنما مدح من يكظم الغضب
فقال والكاظمين الغيظ الآية والله أعلم

روي عن يحيى بن أكثم أنه قال تماشيت
مع المأمون في بستان والشمس عن يساري
والمأمون في الظل فلما رجعنا وقعت
الشمس أيضا علي فقال لي المأمون تحول
مكاني وأتحول مكانك حتى تكون في الظل
كما كنت في ظلك وأقبل الشمس كما وقيتني
وقيل للإسكندر لو أكثرت من النساء
حتى يكثر نسلك ويحيى ذكرك فقال إنما
يحيى ذكر الأفعال الجميلة والسنن الحميدة

ولا يحسن بمن يغلب الرجال أن تغلبه النسآء
وهذا رفق على نفسه لقوله عليه السلام
ابدأ بنفسك ثم بمن يليك . وإن كان
الذي يوثر على نفسه أعلا درجة
وحكى في سراج الملوك أن بعض الملوك
مر بغلام يسوق حمارا غير منبعث وقد
عنف عليه في السوق فقال يا غلام ارفق
به فقال الغلام أيها الملك في الرفق
به مضرة عليه قال وما مضرته قال

تطول طريقه ويشتد جوعه وفي العنف
إحسان إليه قال وما الإحسان إليه
قال يخف حمله ويطول أكله فأعجب
الملك بكلامه وقال قد أمرت لك
بألف درهم قال رزق مقدور وواهب
مأجور قال وقد أمرت بثبات اسمك
في حشمي قال قد كفيت موونة ورزقت
بها معونة قال لولا أنك حديث السن
لاستوزرتك قال لن يعدم الفضل من

رزق العقل قال وهل نصلح لذلك قال
إنما يكون الحمد والذم بعد التجربة
ولا يعرف الإنسان نفسه حتى يبلوها
فاستوزره فوجده ذا رأي صليب
وفهم رحيب ومشورة تقع مواقع التوفيق
وذكر في أنيس الجليس وشفاء الصدور
المشار إليه عن بعض الخلفاء لما تولى
الخلافة وصار ولي عهده وانتهى أمره
إلى الكمال واجتمعت له العساكر والأموال

فكان يوما من الأيام يقرأ القرآن
فبلغ إلى هذه الآية وهي قوله تعالى
حكاية عن فرعون أليس لي ملك مصر
وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون
ونظر إلى ما قد ادعاه فرعون عليه اللعنة
في هذه الآية فحصل للخليفة غيرة وتحير
وقال من يكون فرعون وما تكون سلطنته
عند سلطنتي حتى تفاخر فرعون بملك
مصر فإني أهب ملك مصر لعبد حبشي حتى

يعلم الناس أنه تملك ملك فرعون عبد من
عبيدي فأمر أن يحضروا له عبدا حبشيا
أسود ما يكون وأقبح ما يكون فوجدوا
مثل ذلك في مزبلة الحمام وكان
أقرع أصلع غليظ الشفتين وقد وصفوه
بأوصاف أخر غير هذا من القبح فأمر
الخليفة أن يكسوه الثياب الفاخرة وكتبوا
له منشورا فلما بلغ الأسود مصر وتولى
على المملكة فأظهر العدل والحق والسخاوة

والإنصاف حتى انتشر اسمه في الآفاق
واجتمع إليه الوعاظ والشعراء والمداح
والفقراء والمساكين وكان يهب لكل
واحد منهم ما لا يوصف لكثرة سخائه
فوقف يوما من الأيام بين يديه شاعر
فمدحه فاستحسن مدحه فأمر أن يعطى له
أكثر من غيره فأعطي ثم إن الشاعر قال
في نفسه يوما من الأيام إني مدحت عبدا
من عبيد الخليفة فأعطاني هذا المقدار

فإن مدحت الذي هو سيده يعطيني أجزل
منه فتفكر في الليل وأنشد قصيدة حسنة
بنعت الخليفة وسافر إلى بغداد وقرأ
القصيدة بين يديه فأمر أن يعطى مائتي
درهم فقال الشاعر عند ذلك يا أمير
المؤمنين ما يكون منك صاحب مصر أخوك
أم ابنك فقال الخليفة تأدب يا فلان
فإنه عبد من عبيدي المشترى فقال
الشاعر فكيف ترى جائزا أن يذهب إلى عبدك

مقدار كيت وكيت وأنت تعطيني مائتي درهم
وهذا يضر بجودك ومروءتك ثم قام الناس
من كل جانب وشكروا بين يدي الخليفة
من ذلك العبد الذي ولاه على مصر
فخاف الخليفة على نفسه وقال ربما يتقوى
على بذلك الجود والسخاء والخلق ويأخذ
الملك من يدي فأرسل إلى مصر رسولا
وعزل ذلك العبد وجرّ في عينيه الميل
حتى صار أعمى فصار يقعد بين مفارق

الطريق ويسأل الناس وصار معسرًا وضاق
عليه الوقت فمرّ عليه يومًا من الأيام ذلك
الشاعر الذي أعطى له المال وسمع أنه يقول
من يعطيني شيئًا لله تعالى فلما رآه الشاعر
عرفه فأعطاه مائة دينار فمسك الحبشيّ
ذيل الشاعر وقال سألتك بالله من أنت
قال أنا الشاعر الذي أعطيتني كذا
وكذا من المال لمدحي إياك وهذه المائة
دينار من تلك الدنانير التي أعطيتني

فقال العبد للشاعر اذهب يا بطال ما أنا
مثل فلان الخليفة حتى أرجع فيما أعطيت
فإني لو كانت خلقتي حبشية لكن
سريرتي قرشية اذهب فوالله ما أخذها
منك ثمّ يقول الفقير الحقير إلى الله
تعالى المؤلف لهذا المختصر المشار إليه
ما هذه المروءة التي كانت في هذا العبد
الأسود الذي لم يرجع فيما وهب بعد
ما أعطى له من غير سؤال منه وهو محتاج

إلى ذلك غاية الاحتياج وهاهنا
بشارة لطيفة لأهل الإيمان فإن العبد
الأسود لا يرضى أن يرجع فيما وهب
مع حقره وفقره فلا تظنن بالله الغني
الرحيم اللطيف الحليم أنه يرجع فيما وهب
مما وعدك به من الجنة ونعيمها من غير
سؤال منك حين وعدك به حاشا من كرمه
ولطفه بقوله أولئك الذين نتقبل
عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم

في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا
يوعدون والله أعلم بالصواب
وصلى الله على سيدنا ومولانا وحبيبنا
وشفيعنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما
كثيرا تم الترغيب إلى طاعة الملوك
والترهيب عن مخالفة السلوك بحمد الله وعونه
وحسن توفيقه وكان الفراغ من تسويد
وتأمله في تحريره بحسب طاقتي في يوم الجمعة
خامس عشر ذي القعدة الحرام من أشهر سنة ثلاث عشر وثمان